# الفصل الثاني

## قصة الفتية المؤمنين

### ٢-١ تمهيد:

إن القصص القرآنية كلها حقائق وقعت أحداثها، ولئن عجز العقل البشري عن إدراك تفصيلات هذه الوقائع، وتحديد زمانها ومكانها أو أشخاصها بوسائله القاصرة، فليس هناك حجة لمن زعم أنها قصص تمثيلي أو تخييلي، وقد جعل القرآن سرد هذه القصص دليلا على صدق رسل الله – صلوات الله عليهم- في دعوته، كما جعله وسيلة لتثبيت قلوب رسله ومن وراءه الدعاة إلى الله عبر العصور، فقصة الفتية المؤمنين قصة مشرقة تزكي في النفوس الرغبة في الخير، والتضحية من أجل العقيدة الصحيحة، والخشوع والتضرع لربّ السموات والأرض.

من البدهي في عقيدة الإسلام أن الله عز وجل ختم الشرائع كلها بشريعة محمدية، وأنها شريعة خالدة إلى يوم القيامة، محفوظة بحفظ الله تعالى لها، وحفظه سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، فإن حفْظ الشريعة وعقيدة الإسلام لا يكفي حتى يتمثلها رجال، وحتى يكون لها واقع في حياة الناس، لذا شمل الحفظ النموذج الذي يحيا بها، ويحيى الناس بها بعد ذلك، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((وَلَنْ تَزالَ طائِفَةٌ مِنْ هذه الأُمَّةِ قَائِمَةً على أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ حتّى يأتِيَ أَمْرُ اللهِ وهُم كَذلِك))[11]. أكدتْ منى بنت عبد الله أن العقيدة تمثل قاعدةً أساسية في بناء الدين الإسلامي، وتمثّل القاعدة الإيمانية قوام التصور الاعتقادي، فهي بمثابة المرتكز أو الأساس فيه، لذا فإن تعزيز مكانتها الاعتقادية، وتحقيق آثارها الإيمانية، واتساع رقعتها الواقعية في حس المؤمن وشعوره، بحيث

[11] رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالسنة، باب لا تزال طائفة ... عن المغيرة، ٤/٢٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة ... عن ثوبان، ١٣/٦٥، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام، رقم ٢١٩٢، عن معاوية بن قرة.

تجعل إدراكه لها واقعا متحققا، يتطلّب صدق الممارسة في ضوء المنهج الرباني، وهذا ما لوحظ في القصص القرآنية، التي أبرزت جانب الممارسات في حياة الأنبياء، والمؤمنين الصادقين، ومدى الأثر الذي أضفته هذه الممارسات في تعزيز الاعتقاد وتحقيق آثاره الإيمانية[١٢].

وما دام القرآن الكريم محفوظٌ إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾[١٣]، وكذلك النموذج البشري من المتمسكين بالعقيدة الصحيحة يحفظه الله عز وجل أيضا إلى يوم القيامة، فإن قصة الفتية المؤمنين تمثل نموذجا بشريا في عهدهم، ويقدم القرآن الكريم للفئة المؤمنة — من خلال القصص القرآنية- تجارب البشرية وخبرتها من خلال عرض هذه الفئة من السمو الفكري والروحي والصفات الخلقية النبيلة.

## ٢-٢ سبب النزول:

أنزل الله عز وجل آيات القرآن الكريم فيها قصة الفتية المؤمنين مع قصة ذي القرنين وقصة اللقاء بين نبي الله موسى والخضر عليهما السلام، ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه القصة مفصلا موضحا، فقال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهما: أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فإنه نبي مرسل، فإن لم يفعل فالرجل متقول، فأروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في

---

[١٢] منى بنت عبد الله، مرجع سابق، ص٢٧٤.

[١٣] سورة الحجر: الآية ٩

الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبأه، وسلوه عن الروح وما هو؟ فإن أخبروكم عن ذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإلا فهو متقوّل، فلما قدم النضر وصاحبه مكة المكرمة قالا: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، وأخبروا بما قاله اليهود، فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثنِ- لم يقلْ: إن شاء الله — فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة به، وقالوا: وعدَنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، فشقّ عليه ذلك، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة فيها أصحاب الكهف، وفيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم، وفيها خبر أولئك الفتية، وخبر الرجل الطواف[١٤].

وذهب أحمد المجدوب إلى احتمال أن يكون اليهود الذين كانوا يقيمون في المدينة إلى أن أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم منها بعد تواطئهم مع قريش هم بنو النضير، واسمهم الأصلي (بنو النذير) نسبة إلى (النذريين) أو (الناصريين) الذين كانوا يقيمون في فلسطين قبل ظهور المسيح عليه السلام، ثم لما ظهر عليه السلام آمنوا به على أنه النبي الذي بشرت به التوراة، فلما اضطهدهم اليهود الذين بقوا على يهوديتهم فروا إلى الجزيرة العربية، حيث أقاموا في يثرب (الاسم القديم للمدينة المنورة)، وجرى تصحيف اسمهم إلى بني النضير، كما ارتدوا إلى اليهودية واحتفظوا بتراثهم القديم، ومن بينه قصة الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول، وإلا فمن أين لهم العلم بهذه القصة؟ على الرغم من أنه علم مبتور، ومما يرجح هذا الفرض أنه لا يوجد في الأبجدية العبرية حرف (الضاد) الذي لا يوجد إلا في الأبجدية العربية، ومن هنا يمكن تفسير علمهم بما حدث للفتية وسؤالهم

---

[١٤] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، تفسير الطبري (المسمى جامع البيان في تأويل القرآن)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١١٨/١٥-١١٩. راجعْ هذه الرواية : الواحدي، أبو الحسن على بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ص٣٠٠. وابن هشام، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، السيرة النبوية، الرياض: دار المغني، ص٣١٠.

الرسول صلى الله عليه وسلم واعتقادهم في ظهور نبي آخر الزمان، الذي وردت الإشارة إليه في التوراة، وهو محمد عليه الصلاة والسلام[١٥].

وكان سبب نزول الآيات امتحان المشركين واليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخصوص قصة الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول ، فكان الله عز وجل يتولى بنفسه إخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك، فكان نصرا وتأييدا له ، كما يمكن أن نعتبر ذلك دليلا من دلائل النبوة، وشهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فلو لم يكن رسولا لما صدّقه الله عز وجل وشهد له.

ذكر أحمد المجدوب أن نزول قصة الفتية المؤمنين في الفترة السابقة على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهي الفترة التي عدلت قريش فيها عن السياسة التي تعتمد على السخرية من الرسول والاستهزاء به، واتهامه وتخويفه واستعداء الناس عليه، إلى سياسة جديدة تعتمد على الإيذاء والتعدى والاضطهاد والضغط الاقتصادي، وفرض العزلة عليه وعلى أتباعه من المؤمنين[١٦]، يقول المودودي: "إن هذه السورة نزلت قبل هجرة الحبشة، فرويت قصة أصحاب الكهف في الوقت الذي كان المسلمون يضطهدون، ويُنكل بهم، ليثبتوا ويتشجعوا، ويعرفوا ماذا فعل المؤمنون من قبل ليحفظوا إيمانهم"[١٧].

وأضاف أبو الحسن الندوي أن هذه القصة قد جاءت في أوانها ومكانها، فقد كان المسلمون في مكة يواجهون نفس الأوضاع التي واجهها الفتية في أوج الاضطهاد والاستبداد في عهد القياصرة، وكانوا يعيشون في فترة تشبه الفترة التي عاش فيها الفتية المؤمنون قبل أن يغادروا البلد، ويلجؤا إلى الكهف، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن

---

[١٥] أحمد علي المجدوب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ص٢٥٣.

[١٦] المجدوب، المرجع السابق، ص٦٥.

[١٧] أبو الأعلى المودودي، د.ت، تفسير سورتي الكهف ومريم، ترجمة؛ أحمد إدريس، د.ط/ن، ص٨.

يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[١٨]، هكذا كان المؤمنون في بداية عهدهم، في مكة المكرمة، تفيض كتب السيرة بقصص الظلم والقسوة، والتعذيب والتنكيل، وتحكي عن أخبار بلال بن الرباح، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، ومصعب بن عمير، وسمية زوجة ياسر، وأصحابهم ما تقشعر منه الأبدان، ويصور القرآن والسيرة الجو الرهيب الذي أحاط بالمسلمين في مكة، ولا تعبير أدق من تعبير القرآن الكريم حين قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾[١٩]، هنالك يترل الوحي، ويقصّ عليهم القرآن الكريم قصص الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والعزة بعد الذلة[٢٠].

وإضافة إلى هذا القول أن قصة الفتية المؤمنين قد نزلت قبل الهجرة بعامين أو ثلاثة، إنما كانت تمهد لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهي الهجرة التي تخللها لجوءه إلى الغار حتى لا يصل إليه كفار مكة بعد أن فشلت محاولتهم لقتله غيلة وهو نائم، ولعل ابن كثير قد لمس هذا التشابه بين الحادثين: حادث الكهف وحادث الغار، عندما أشار إلى هروب الفتية إلى الكهف وبحث الملك الطاغية عنهم، ولم يظفر بهم وعمى الله عليهم خبرهم، كما فعل عز وجلّ بنبيه صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق حين يلجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب، فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه[٢١].

وذكر الندوي أن حال المسلمين في مكة يشبه حال الفتية المؤمنين الذين لجأوا إلى الكهف فرارا بدينهم من الفتن، فبقوا فيه إلى أن قلّب الله الليل والنهار، وانقرضت السلطة الظالمة المضطهدة لأهل الإيمان والعقيدة، وجاء من يحمي دعوة الإسلام

---

[١٨] سورة الأنفال: الآية ٢٦.

[١٩] سورة التوبة: الآية ١١٨.

[٢٠] أبو الحسن الندوي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، الصراع بين الإيمان والمادية؛ تأملات في سورة الكهف، الكويت: دار القلم، ص٤٦.

[٢١] اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة : دار إحياء الكتب العلمية، ٣/٧٤ .

أثناء انتباههم من النوم، وكذلك عاش المسلمون في مكة ما عاشوا متمسكين بدينهم، حتى جاء الفرج، وأذن بالهجرة، ولكن الله عز وجل أراد بهم أكثر مما أراد بالفتية المؤمنين اللاجئين إلى الكهف، أراد أن يظهر بهم دينه على الدين كله[٢٢]، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢٣].

وذكر الندوي أيضا أن الله عز وجل قصّ قصة الأنبياء والأمم في هذه الفترة الرهيبة التي يستولي فيها اليأس والتشاؤم، وتبلغ القلوب الحناجر، وقصّ عليهم قصة الفتية المؤمنين وما داروا مع قومهم، وهي قصص تختلف عصورها وبيئاتها، وتختلف فيها الأشخاص الذين تدور حولهم القصة، ولكن تتفق في غاياتها وتتشابه في نهاياتها، وتلتقي على نقطة واحدة، وهي الإرادة القاهرة التي تنصر المؤمن على الكافر، والبرّ على الفاجر، بطرق تحار منها الألباب، وتشده العقول[٢٤].

تمسك كثير من المفسرين[٢٥] في سبب نزول هذه القصة في القرآن الكريم، بما رواه محمد بن إسحاق عن بعث قريش وفداً منهم إلى أحبار يهود بالمدينة، وسؤاله إياهم عن أسئلة يختبرون بها صدق النبي صلى الله عليه وسلم، واتصاله بالسماء، فاختاروا لهم أسئلة فيها سؤال عن الفتية المؤمنين، يرى الندوي أن هذه الرواية إن صحت، فليست هي السبب الرئيس لاختيار القرآن لهذه القصة من بين قصص الاضطهاد الكثيرة، والقصص الغريبة التي لا سبيل إلى معرفتها والإخبار بحقيقتها إلا الوحي، وإنما كان في مقاصد الإصلاح والتعليم التي جاء القرآن لتحقيقها، ويوافق الدارس مع ما ذهب إليه الندوي من أن الغاية الأساسية من نزول القرآن بهذه القصة هي تهذيب النفوس البشرية،

---

[٢٢] الندوي، مرجع سابق، ص٤٧.

[٢٣] سورة الصف: الآية ٩.

[٢٤] الندوي، مرجع سابق، ص٤٦.

[٢٥] منهم: ابن جرير الطبري، مصدرسابق، ١٥/١١٨-١١٩. ابن كثير، مصدرسابق، ٣/٧٤ .

والقضاء على العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة وانتشار المظالم فيما بينهم، خاصة في البيئة الفاسدة التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم[٢٦].

## ٢-٣ قصة الفتية المؤمنين في سورة الكهف

ترِد قصة الفتية المؤمنين بشكلها المحدد في القرآن الكريم في سورة الكهف، وهي مكية فيما عدا بعض آياتها، وليس في الأحاديث النبوية ولا في أقوال الصحابة ما يشير إلى تفاصيل هذه القصة، فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمحمل هذه القصة التي وردت في سورة الكهف، وأن عرض القصة فيها لا يأتي على نمط واحد، بل على أنماط متعددة، ووردت القصة في بدايتها الشيّقة ملخصة في إيجاز شديد يحتوي جوانب الحدث كله؛ إيمان الفتية بالله رب السموات والأرض، والإيواء إلى الكهف، والدعاء بالرشاد، والنوم، والبعث، وحيرة الناس، وهذه الأحداث تحمل في الآية ٩ إلى الآية ١٢، قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝ ﴾.

ثم أخبر الله تعالى قصة الفتية المؤمنين بالحق مفصلا، وابتدأتْ الآية بمواقفهم الإيمانية ورفضهم الشرك به سبحانه وتعالى، إلى أن اعتزلوا قومهم، وانتهوا باللجوء إلى الكهف، وتبدأ الآية من ١٣-١٦، قال تعالى:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن

---

[٢٦] الندوي، مرجع سابق، ص٤٦.

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾. والشطط أي: الباطل والكذب والبهتان[٢٧].

ثم حكي الله تبارك وتعالى حالة الفتية المؤمنين أثناء لبثهم في الكهف، ويصوّر لهيئة نومهم وحركتهم، فها هي الشمس تميل عن الكهف عند طلوعها وغروبها كرامة من الله حتى لا تؤذيهم، وها هم رقود كأنهم موتى، ويظنهم الظان أيقاظا وهم رقود، وهم في نومهم يتقلبون، قال الله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾

ثم يأتي المشهد التالي، تدبّ الحياة في الفتية المؤمنين، ويستيقظون بعد رقدتهم الطويلة التي تشبه الموت، ويتساءلون بينهم عن مدة لبثهم في الكهف، ثمّ يشعرون بالجوع، فيبعثون أحدهم ليشتري طعاما مع الحرص والتخفي والحذر، قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ

---

[٢٧] ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٣ .

يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾، والورق أي: الفضة المضروبة[٢٨].

ثم يخبر الله تعالى الأوضاع التي عثر فيها الناسُ على أمر الفتية المؤمنين، وكان إلهام الله تعالى بذلك ليعرف الناس حقيقتهم، ويكون رقادهم الطويل ثم بعثهم في الكهف دليلا محسوسا على أنّ وعد الله تعالى بالقيامة حق، قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

ثم يتحدث القرآن الكريم عن قوم بعد موت الفتية المؤمنين، وما وقع الخلاف بينهم حول عدد الفتية المؤمنين، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

ثم يتحلل القرآن الكريم بالحديث عن عتاب الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعدم نسبته صلى الله عليه وسلم إليه عز وجل في إخباره ووعده للمشركين بقصة الفتية المؤمنين وغيرها مما سألوه عنها، وإخبار الله تعالى مدة لبث الفتية المؤمنين في الكهف، وهو عز وجل أعلم بالمدة التي مكثوها في الكهف، قال تعالى عن ذلك:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ

---

[٢٨] ابن كثير، مصدرسابق، ٣/٧٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾

## ٢-٤ قصة الفتية المؤمنين عند المؤرخين والمفسرين

القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمجمل قصة الفتية المؤمنين التي وردت في سورة الكهف، مما جعل المفسرون يحاولون تفسير الآيات القرآنية التي تتعلق بقصتهم، وتوضيح الأحداث القصصية الواردة في سورة الكهف، لكشف معانيها وحقائقها وبيان مقاصدها.

ذكر ابن جرير الطبري أنه مرِج أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم عليه السلام متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له: دَقْيَنوس، كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى بن مريم عليه السلام، كان يترل في قرى الروم، فلا يترك في قرية يترلها أحدًا ممن يدين بدين عيسى ابن مريم عليه السلام إلا قتله، حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت، حتى نزل دقينوس مدينة الفتية المؤمنين، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان، فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه[٢٩].

ذكر ابن كثير سبب إيمان الفتية المؤمنين بالله تعالى حيث أنهم من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، وقذف الله في قلوبهم الإيمان فآمنوا وعرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من

---

[٢٩] ابن جرير الطبري، مصدرسابق، ١٨٣/٨.

السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض، وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه[٣٠].

ذكر ابن كثير سببا آخر لإيمانهم بالله تعالى، أنه جاء حواري من أصحاب عيسى إلى مدينتهم فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد حتى يسجد له، فلم يدخلها وأتى حماماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام، فعيره الحواري فاستحيا، ثم رجع مرة أخرى فعيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة، فماتا في الحمام، فقيل للملك: إن الذي بالحمام قتلهما، فطلب فلم يوجد، فقيل: من كان يصحبه؟ فذكر الفتية، فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع له فذكروا له أمرهم، فسار معهم وتبعهم الكلب الذي له حتى آواهم الليل إلى الكهف[٣١]، فقالوا: نبيت ههنا

---

[٣٠] ابن كثير، مصدرسابق، ٣/٧٣.

[٣١] إن موقع هذا الكهف مختلف عليه، وإن كانت الغالبية من المفسرين والمؤخرين المسلمين تذهب تأثّراً بالروايات المسيحية، إلى القول بأن الكهف يوجد في مدينة (أفسوس) بآسيا الوسطى، ومن هؤلاء الطبري وابن كثير والزمخشري وغيرهم من القدماء، ذكر ابن كثير في تفسيره أقوالاً، منها ما ذكره منسوباً إلى ابن عباس أنه قال: هو قريب من (أيلة)، وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر، انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٢. هذا فضلاً عما ذكر من أسماء لبلاد أخرى، على الرغم من تعقيب ابن كثير الذي قال فيه: "والله أعلم بأي البلاد هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه"، انظر: ابن كثير، مصدرسابق، ٣/٧٤، فإن ذكره للروايات التي تقول: إن أصحاب الكهف كانوا من الروم، وذكره لأسمائهم يوحي للقارئ بأن الكهف كان ببلاد الروم. وفي عام ١٩٦٢ ميلادية اكتشفت رابطة العلوم الإسلامية ــ كان يرأسها الأستاذ محمد تيسير الظبيان — موقع الكهف بالقرب من عمان عاصمة المملكة الأردنية، أنه يقع منزوياً عن المارة بعيداً عن الطريق المعبدة (طريق عمان — مأدبا — الكرك — العقبة) مسافة ثلاثة كيلومترات، والكهف لا يمكن أن يراه المار من الطريق، ولا ينتبه إليه إلا إذا قرب منه ووصله. انظر: أحمد المحدوب، مرجع سابق، ص١٩٠-١٩١. وأثبتَ عالم الآثار « رفيق وفا الدجاني » الذي نَشَر نتائجَ تَنقيباتِ اكتشافه سنة ١٩٦٤م، أنّ كهف أصحابِ الكهف الذي وَرَد ذِكرُه في القرآن الكريم يوجد في الجَنوبِ الشرقي مِن عَمّان عاصمةَ المملكة الهاشمية الأُردنية، وعلى مسافةِ ثمانيةِ كيلومترات بين قَريتَي « الرَّقيم » و« أبو عَلَنْدا »، وليس الكهف الذي يَدّعي المؤرخون الأوربيونَ وجودَهُ في مدينةِ أفسوس في تركيا. راجع: www.imamreza.net/arb/imamreza. php.htm

حتى نصبح ثم نرى رأينا، فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثماراً، فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء، فلما جنّهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلّبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الأرض أجسادهم، وكانت الشمس تطلع عليهم[٣٢].

نقل ابن جرير الطبري أن كل واحد منهم بعدما نظر إلى ما يصنع قومه بعين بصيرته، وأيقن أنه ليس من الحق شيئا، فأخفى الإيمان عن صاحبه، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثم خرج الآخرون فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعَكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟، وكلّ يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فتيان فيتواثقا أن لا يفشي واحد منهما على صاحبه، ثم يفشي كل واحد منهما لصاحبه أمره، فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد، فخرج فتيان منهم فتواثقا، ثم تكلما، وذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرَين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد، فإذا هم جميعا على الإيمان.

وكان الملك الجبار دقينوس حين قدم المدينة قد أمر جيوشه أن يتبعوا أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها، فيستخرجوهم إلى دقينوس، فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيّرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة فيُفظع بالقتل فيفتتن، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى الفتية المؤمنون ذلك حزنوا حزنا شديدا، حتى تغيرت ألوانهم، ونحلت أجسامهم، واستعانوا بالصلاة والصيام، والتحميد والتسبيح والتهليل والبكاء والتضرع إلى الله، فبينما هم على ذلك، عرفهم عُرفاؤهم من الكفار، وذكروا أمرهم، وكانوا قد خَلَوا في مصلّى لهم، يعبدون الله تعالى فيه، ويتضرعون إليه، ويتوقّعون أن يُذكروا لدقينوس، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم في مصلاهم، فأخذوهم إلى الملك، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لأهل مدينتكم،

---

[٣٢] ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٤.

اختاروا مني إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم، فقال كبيرهم: إن لنا إلهاً نعبده، لن ندعو من دونه إلهاً آخر، ولن نقرّ بهذا الذي تدعونا إليه أبداً، لكن نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح، وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها فلن نقرّ بها أبداً، اصنع بنا ما بدا لك، ثم قال الآخرون كما قال كبيرهم، فلما قالوا ذلك، أمر بهم فنَزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذا فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخرّكم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي وأهل بلادي وسأفرغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجّل ذلك لكم إلا إني أراكم فتياناً حديثة أسنانكم، ولا أحبّ أن أهلككم، وأنا جاعل لكم أجلا تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحليّة كانت عليهم من ذهب وفضة، فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده، فلما رأى الفتية المؤمنون ذلك عمد كل فتى منهم، فأخذ نفقة من بيت أبيه، وانطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بنجلوس وأتبعهم كلب لهم، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، فبينما هم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف فناموا أجمعين.

سمع الملك دقينوس خبرهم، غضب غضبا شديدا، ثم أرسل إلى آبائهم، فأتى بهم فسألهم عنهم، وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آلهتي، ائتوني بهم، وأنبئوني بمكانهم، فقال له آباؤهم، أما نحن فلم نعصِ أمرك و لم نخالفك، وقد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مَرَدة، قد ذهبوا بأموالنا وانطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هرباً منك، فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فخرج في أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف، وأمر أصحابه بالدخول إليهم وإخراجهم، فكلما أراد رجل أن يدخل فأرعب فعاد، فقال بعضهم: أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابنِ عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبراً لهم، فأمر دقينوس بالكهف أن يسّد عليهم، فبقوا زماناً. ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما، فأمرا أن يكتبا شأن الفتية، أسماءهم وأسماء آبائهم

وأنسابهم، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص، ثم صنعا له تابوتا من نحاس، ثم جعلا اللوحين فيه، ثم وضعا في فم الكهف، وقالا: لعلّ الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، وبقي دقينوس ما شاء أن يبقى، ثم هلك، فمر عليه قرون عديدة، ثم إن راعياً أدركه المطر فقال: لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت غنمي فيه، ففتحه، فرد الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا، ولما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمناً، وقد اختلف أهل مملكته في الروح والجسد وبعثهما، فقال قائل: يبعث الله الروح دون الجسد، وقال قائل: يبعثان جميعاً، فشق ذلك على الملك وسأل الله أن يبين له الحق، فبعث الله أصحاب الكهف، فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض: قد غفلنا هذه الليلة عن العبادة، فقاموا إلى الماء، وكان عند الكهف عين وشجرة، فإذا العين قد غارت والأشجار قد يبست، فقال بعضهم لبعض: إن أمرنا لعجب!، هذه العين غارت وهذه الأشجار يبست في ليلة واحدة! وألقى الله عليهم الجوع، فقالوا أيكم يذهب إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا، فدخل أحدهم يشتري الطعام، فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الإيمان ظاهراً بها، حتى دخل على رجل ليشتري طعاماً، فأنكر الدراهم، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزًا فسألوه عن أمره، فقال: فمن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس ثم أصبحنا فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني، فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحاً، فسأله عنها، فأعاد عليه حالهم، فعجب لذلك، وقال الملك: أين أصحابك؟ قال: انطلقوا معي، فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا ظناً منهم أن دقيانوس قد علم بهم، فدخل عليهم وأخبرهم الخبر، فعلموا حينئذ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحاً ودعوا الله أن يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم، فماتوا لساعتهم، فضرب الله على أذنه وآذانهم معه، فلما استبطأوه الملك دخلوا إلى الفتية فإذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية لكم، إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد

بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان، ورأى الملك تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم، ففتحه، فرأى فيه لوحاً من رصاص مكتوباً فيه أسماء الفتية وأنهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم، فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم، فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح[٣٣].

## ٢-٥ قصة النائمين السبعة:

ترد قصة النائمين السبعة متشابهة بقصة الفتية المؤمنين التي ذكرها معظم المفسرين في تفاسيرهم، يذكر أبو الحسن الندوي أن قصتهم لم ترِدْ في أسفار العهد القديم، وإنما وردت في فجر التاريخ المسيحي، وبعد ما ظهرت الدعوة إلى التوحيد ورفض الأوثان، عن طريق أتباع المسيح عليه السلام، وبعد ما دوّن آخر سفر من أسفار العهد القديم، وأنها من أحب القصص الدينية إلى المسيحيين، لأنها من أعظم القصص غرابة، وأشدها دلالة على صرامة أتباع المسيح الأولين، وقوة إيمانهم، وتفانيهم في سبيل العقيدة والمبدأ، وغيرهم على تعاليم المسيحية النقية، وهي صالحة لإثارة قوة المقاومة والكفاح في نفوس المؤمنين في كل عصر ومصر[٣٤].

نقل المفسرون المسلمون عن الكتابيين الكثير في قصة الفتية المؤمنين، وقد أراد الندوي أن يختصر الطريق فينقل عن كتب أهل الكتاب مباشرة، لأن قصة النائمين السبعة تكون من أكثر القصص التي تروى عن القديسين متعةً عقلية، وانتشاراً في الآفاق، إن عناصر القصة التي تشترك فيها أقدم الكتب كما يلي[٣٥]:

---

[٣٣] ابن جرير الطبري، مصدرسابق، ٨/١٨٣-١٨٥.

[٣٤] الندوي، مرجع سابق، ص٢٦.

[٣٥] الندوي، نفس المرجع، ص٢٧-٣١.

إن أمبراطور ديسيس (Decius) يدخل في المدينة اليونانية القديمة (أفسوس- Ephesus)[٣٦]، ويجدد فيها تقليد عبادة الأوثان، ويأمر أهل المدينة والمسيحيين بصفة خاصة بتقديم الذبائح والقرابين لها، وأقلع عدد من المسيحيين عن عقيدتهم النصرانية، وبقي عدد منهم متمسكين بديانتهم، متحملين لاضطهاد رجال الحكومة وتعذيبهم، وهنا يقدم إلى الإمبراطور سبعة من الشباب وقد اتهموا باعتناق النصرانية سرّاً، وهم يرفضون تقديم القرابين إلى الأوثان، ويمهلهم الإمبراطور لمدة طمعاً في أن يرجعوا إلى صوابهم، ويتوبوا عن النصرانية.

وفي خلال هذه المدة يغادر هؤلاء الشباب المدينة، ويأوون إلى كهف في جبل قريب كان يسمى بـ (Anchilus)، ويخرج أحدهم اسمه Diomedes أو Imblicus متنكراً وفي ثياب متوسخة رقيقة إلى البلد، ليتعرف الأخبار ويشتري الطعام، ولا يمضي على ذلك كثير حتى يرجع الإمبراطور دسيس إلى المدينة، ويأمر بأن يقدّم إليه الشباب، ويخبر Diomedes زملاءه بهذا الأمر السلطاني، فيتناولون الطعام، وقد استولى عليهم الحزن والقلق، ثم يستغرقون في نوم عميق طويل يسلّطه الله عليهم، ولما لم يهتدِ الإمبراطور إلى هؤلاء الشباب، طلب آباءهم فأبدوا براءتهم عن هذا التهرّب، وأن تكون لهم يد في هذه المؤامرة، وأخبروه بأنهم متسترون في جبل (Anchilus)، وهنا يأمر الإمبراطور بأن يسدّ مدخل هذا الكهف بحجارة كبيرة، فيموتوا هناك حتف أنوفهم، ويبقوا موءودين في هذه المغامرة، ويكتب مسيحيان، أحدهما Theodore والآخر Rufinus قصة هؤلاء الشهداء الشباب على لوحة من معدن، ويدفنانها تحت الحجارة التي سدّ بها الغار.

وبعد أن مضى عليهم ثلاثمائة وسبع سنوات في عهد إمبراطور ثيودوسيس الثاني (Theodosius) تقوم ثورة يقودها بعض المسيحيين، وتنكر جماعة منهم على رأسهم القس ثيودو (Theodore) عقيدة بعث الأموات، وإمكان حشر الأجساد، فيفزع

---

[٣٦] إنها إحدى المدن الأيونية الاثنتي عشرة من الأناضول، وموقعها على الجانب الجنوبي من نهر (قسيطرة)، وهي على مسافة ٦٠ كيلومتراً من (أزمير)، جعلها الرومانيون قاعدة لولاية آسيا الغربية في البرّ، وقنصلية ومحطّا لتجارة متسعة زاهرة جداً، وأعظم فخر لها هو هيكل ديانا — المعبودة اليونانية- العظيم الذي يعدّ من عجائب الدنيا السبع، وكان أكبر الهياكل اليونانية. انظر: سعيد حوى، مرجع سابق، ٦/٣١٦١-٣١٦٢.

الإمبراطور المسيحي وشغل باله، وهنا يلهم الله ملاّكا اسمه Adolius أن يبني زريبة لغنمه في الميدان الذي يقع فيه هذا الكهف، ويستخدم البناؤون لبناء هذه الزبيرة الحجارة التي سدّ بها الغار، وهكذا ينكشف هذا الكهف، ويوقظ الله هؤلاء الشباب في هذه الساعة، فيخطر ببالهم أنهم ناموا ليلة، ويتواصون بأن يموتوا شهداء على يد (ديسيس) إذا ألجأتهم الضرورة، ويذهب أحدهم وهو Diomedes إلى المدينة كالعادة، ويقف حائراً أمام الصليب المنقوش وسط المدينة، حتى يضطر إلى أن يسأل السابلة، هل هي مدينة أفسيس حقاً؟ ويصبح توّاقاً إلى إخبار زملائه بهذا الانقلاب العظيم، ولكنه يملك عاطفته ويشتري الطعام، ويقدّم في ثمنه النقود التي كان يحملها، وهي العملة التي كان يتعاطا الناس في عهد ديسيس، ويعتقد صاحب الدكان، وأهل السوق أن الشاب قد عثر على ركاز قديم، ويريدون أن يكون لهم نصيب فيه، ويهدّدون الشاب ويخوفونه، ويقودونه من بين وسط المدينة وأسواقها، ويبحث الشاب في هذا الجمع الحاشد عن رجل يعرفه، فلا يجده، ويستخبره الأسقف حاكم البلد عن شانه، فيخبره بالقصة بطولها، ويدعوهم إلى أن يرافقوه إلى الكهف، ويزوروا زملاءه الآخرين، فيرتقون قمة الجبل، وهناك يجدون لوحتين رصاصيتين تصدقان قصة الشاب، فيدخلون الكهف ويجدون زملاءه أحياء، يغشي وجوههم النور والسكينة، وينمي الخبر إلى الإمبراطور Theodosius فيزور الكهف، وهنا يقول له Maximilian أو Achillides أو شاب آخر، أن الله سبحانه وتعالى قد سلّط عليهم النوم ليبرهن على الحشر والنشر، ثم أيقظهم قبل أن تقوم القيامة، وبعد ذلك مات الشباب موتهم الأخير، وقد بنى هيكل رومي في تذكارهم.

## ٢-٦ الخلاصة

أورد القرآن الكريم قصة الفتية المؤمنين بشكل موجز، ورغم ذلك فإنه أوفى بكثير من قصة النيام السبعة المسيحية، وذكر معظم المفسرين قصتهم التي تشبه كثيرا بقصة النيام السبعة المسيحية، ويبدو تأثرهم بالقصة المسيحية في وصف الأحداث، وأضافوا

على الفتية أوصافا أخرى مزيدة، حيث قالوا: إنّهم من أشراف الروم، أو من أبناء ملوكهم، وجعلوا فيها مَلِكين، أحدهما اضطهد الفتية لأنه وثني، والآخر كرّمهم عند استيقاظهم لأنه مسلم أو مؤمن صالح، إلى غير ذلك مما تضمنته القصة القرآنية.

انطلاقا ممّا ذكره الله تعالى عن قصة الفتية المؤمنين في كتابه الحكيم، وما ذكره المفسرون قصتهم في كتب التفسير، وما نقله الكتابيون بدورهم عن قصة النائمين السبعة المسيحية، يلاحظ الدارس الفروق في سرد القصة كما يلي:

أولاً: من الملاحظ أن معظم المفسرين لجأوا إلى معلومات عن قصة الفتية المؤمنين من كُتب التفسير، وبعض المفسرين أخذوا هذه المعلومات من كُتُب التاريخ، ومعظم المؤرّخين جمعوا هذه المعلومات من اليهود والنصارى، لأن لهم ثقافتهم الدينية التي تُستمد من التوراة والإنجيل، ذكر مناع القطان في هذا الصدد أنّ القرآن يشتمل على كثير مما جاء في التوراة والإنجيل، ولا سيما ما يتعلق بقصص الأنبياء وأخبار الأمم، ولكن القصص القرآني يجمل القول مستهدفاً مواطن العبرة والعظة دون ذكر للتفاصيل الجزئية، كتاريخ الوقائع، وأسماء البلدان والأشخاص، أما التوراة فإنّها تتعرض مع شروحها للتفاصيل والجزئيات، وكذلك الإنجيل[٣٧]، والقصص والأخبار التي تحدّث بها أهل الكتاب ما يسمى بـــ(الإسرائيليات) [٣٨]. فالإسرائيليات عبارة عن الأخبار التي تحدّث بها أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، يُطلق بها من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، حيث كان النقل عن اليهود أكثر لشدة اختلاطهم بالمسلمين منذ بدأ ظهور الإسلام، وإن كانت كلمة "الإسرائيليات" بظاهرها تدل على القصص أو الحوادث التي تروى أصلا عن مصادر يهودية، ولكن يستعملها المفسرون والمحدثون في كل ما دسّه

---

[٣٧] مناع القطان، مرجع سابق، ص٣٤٤.

[٣٨] الإسرائيليات: جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعَجز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، أي عبد الله، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسل منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وعهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. انظر: محمد بن محمد أبو شهبة، ١٤٠٨هـ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة: مكتبة السنة، ص١٢.

أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين بالتحريف والافتراء وغيرهما[٣٩].

قرر أحمد المجدوب في هذا الصدد أن من يقرأ كتب التفسير والكتب التاريخية الإسلامية يلاحظ أن المفسرين والمؤرخين ينقسمون إلى فريقين، سواء فيما يتعلق بالتفسير أو فيما يتعلق بتناول الوقائع التاريخية، فنجد الفريق الأول ينحو في تفسيره لقصص القرآن نحو الإحاطة مما جعله لا يتحرى الدقة فيما رواه من أخبار وما جمعه من نقول امتزجت في أكثر الأحيان بالخرافات والأساطير والإسرائيليات، ومن هذا الفريق الطبري، وابن عساكر والذهبي والمسعودي، فأما الفريق الثاني فيلتزم في تحليله لقصص القرآن الكريم بحدود النص القرآني، وذلك بتوضيح ما في القصة من إشارات وعِبَر، والإجابة عما أثير فيها من مشكلات وشبهات وإجلاء عوامل التاثير في أسلوبها البياني، أو حججها العقلية، أو لمساها الوجدانية، وأصحاب هذا المنهج يعتمدون غالبا طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والأثر الصحيح، ومن هذا الفريق ابن كثير، والفخر الرازي، والبيضاوي وغيرهم من القدامى، ومن المحدثين محمد عبده، وسيد قطب، ومحمد الطاهر بن عاشور[٤٠].

وأيّد أبو شهبة هذا أيضا أن المفسرين لم يكونوا يتحرّون صحة النقل فيما يأخذونه من الإسرائيليات، وأن منها ما هو فاسد باطل، فذكر أسباب الخطأ في التفسير المأثور وكذلك التفسير بالرأي والاجتهاد، ويمكن إجمال أهمّ أسباب الخطأ في التفسير المأثور فيما يلي:

١- تنزيل اللفظ القرآني على غير ما يراد منه، وإلصاق ذلك بالقرآن مطلقا من غير أن يكون في اللفظ دلالة عليه، بحيث لا يشهد له سياق.

---

[٣٩] انظر: سمير عبد العزيز شليوه، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، ص١٦-١٧. وانظر أيضا: مناع القطان، مرجع سابق، ص٣٤٥.

[٤٠] أحمد المجدوب، مرجع سابق، ص٧٠.

٢- عدم التمييز بين الصحيح والضعيف والموضوع، وبين المقبول والمردود، وعدم التفرقة بين الجيد والرديء، والاكتفاء بذكر الأسانيد من غير نقد للرواة.

٣- عدم التمييز بين الدخيل والأصيل، والإكثار من النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وفيه الكثير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل التي لا يشهد لها نقل صحيح، ولا عقل سليم[٤١].

وأضاف أبو شهبة أن تفسير ابن جرير الطبري من أجلّ كتب التفاسر، ومع جلالة مؤلفه لم يسلم من الروايات المنكرة والضعيفة والإسرائيليات، وذلك مثل ما ذكره من حديث الفِتَن في قصص الأنبياء، وأما ابن كثير فأنه يُعدّ ممن ينبّه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، غير أنّه تارةً يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الروايات الإسلامية، ويبيّن أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارةً لا يذكرها بل يشير إليها، ويبيّن رأيه فيها، وقد تأثر في هذا بشيخه الإمام ابن تيمية [٤٢].

**ثانياً:** يرِد في قصة النائمين السبعة عدد الأعوام التي قضوها في النوم الطويل، وهو ثلاثمائة سنة وسبع سنوات كما روى القديسون، وهذا الاختلاف بين ثلاثمائة سنين وسبع سنوات وبين ثلاثمائة سنين وتسع سنوات كما جاء في القرآن يؤدي إلى الاختلاف بينهما، فجاء القرآن الكريم مصححا للخطأ في الزمن، إضافة إلى ذلك حمله المفسرون المتقدمون على التفاوت بين التقويم الشمسي والقمري، قال ابن كثير: "وهذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره

---

[٤١] أبو شهبة، مرجع سابق، ص ١١٣.

[٤٢] أبو شهبة، نفس المرجع، ص ١٢٩.

ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة قمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاث مائة وازدادوا تسعاً[٤٣].

**ثالثا:** إن ديسيس (Decius) الأمبراطور الروماني يسميه المفسرون وعلماء المسلمين بـــ(دقيانوس).

**رابعا:** أورد القرآن الكريم أوصاف الكهف من حيث كان مفتوحا وعلى بابه الكلب راقدا أمامه وقد بسط ذراعيه، والموضع الذي كان عليه الفتية أثناء نومهم، وهيئتهم بداخل الكهف وأن أعينهم لم تنطبق شأن أعين النائمين، وإنما ظلت مفتوحة، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظا، وهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، وهذا يسبب الرعب لمن نظر إليهم، وأن الكهف كان معلوما لقومهم الذين كانوا يمرون عليه ويشاهدونَهم أثناء نومهم، ولكنهم لا يجرءون على الاقتراب منهم، بل إنهم ما يكادون ينظرون إليهم حتى يولون منهم فراراً وقد ملأهم الرعب، ولعل تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب في قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾، يدل على مدى ما كان يسببه حالهم بهذا الوضع من رعب يدفع إلى الفرار لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه، وقد يكون الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب لا بخصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي؛ أيها الإنسان؛ وذلك لأن طبيعة البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالبا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة، لأن الخبر قد حصل و لم يحصل الفرار ولا الرعب[٤٤].

أما شأن الكهف الذي ورد في القصة المسيحية وما ذكره بعض المفسرين عنه فإن باب الكهف مسدّد بحجارة كبيرة بحيث أمر الإمبراطور بأن يسدّ مدخل هذا

---

[٤٣] ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٨.

[٤٤] انظر:

http://www.alqasas.com/modulcs.php?name=Sections&op=viewarticle&artid=٢٧

الكهف بحجارة كبيرة، فيموتوا هناك حتف أنوفهم، حتى جاء الراعي الذي أدركه المطر ففتح باب هذا الكهف فأدخل غنمه فيه ففتحه[٤٥].

مما سبق، يتضح الخلاف الكبير بين القصة القرآنية وبين ما ذكره المفسرون وما جاء في القصة المسيحية، ونعلم علم اليقين أن القرآن الكريم يستخدم التعبير الدقيق المحكم، بحيث لا نجد كلمة زائدة، أو كلمة لا تعطي المعنى المطلوب بصورة دقيقة، كذلك فإنه لو لم يكن من إعطاء هذه الصورة لوجودهم داخل الكهف المكشوف فائدة ومغزى، ما أوردها الله تعالى، إذن يجب الأخذ بما ورد عنهم في القرآن الكريم .

في ضوء ما يقدم الدارس من تحليل قصة الفتية المؤمنين من خلال الآيات الواردة في سورة الكهف، يمكنه أن يقدم تصوراً لما يعتقد أنها قصة حقيقية لأصحاب الكهف، يستمد عناصره من سياق الآيات القرآنية، ومن خلال استخلاص كتب التفاسير المختلفة التي وضعها المفسرون على اختلافهم، وقالوا إن قصة النيام السبعة هي قصة أصحاب الكهف، ومن الملاحظ أن بين القصتين أوجه الاختلاف من حيث المغزى، أو من حيث الأحداث التي وقعت، أو من حيث الظروف التي جرت فيها أحداث القصة، وعلى الرغم مما في قصة الفتية المؤمنين التي أوردها القرآن الكريم من إيجاز شديد فإنها أوفى بكثير من قصة النيام السبعة المسيحية.

---

[٤٥] الندوي، مرجع سابق، ص٢٧.